

استراتيجية الحرب النفسية في الثورة الجزائرية 1954 – 1956

Psychological warfare strategy in the Algerian revolution 1954-1956

خيرة المهدي هجالة*، جامعة البليدة 02-لونيسى علي

kheira_elmehdi@yahoo.com

تاريخ النشر: 2025/12/ 20

تاريخ القبول: 2025/11/ 11

تاريخ الاستلام: 2025/04/ 29

ملخص:

اعتمدت إدارة الاحتلال الفرنسي في تعاملها مع الشعب الجزائري حرباً نفسية، وذلك رغبة منها في تحطيم وتضليل الفرد الجزائري، واعتقاداً منها تقديمه للساحة الحضارية بمعايير سليمة تمكنه من التبادل المعرفي وتحقيق التوازن الذي ينقذه من حال الانغلاق، فيما سعت قيادة الثورة الجزائرية في البحث على رد الفعل كدليل نفسي، والتعامل به في رسالة إبلاغ بطرق شتى؛ تهدف هذه الدراسة لتبيين حرص الثورة الجزائرية على تجاوز الصعوبات، والإعاقات التي مرت بها من خلال الواقع المعاش وفق آليات شتى في التعامل ومعرفة استراتيجية الحرب النفسية في الثورة الجزائرية، وعليه يطرح الاشكال التالي: كيف كانت استراتيجية الحرب النفسية في الثورة الجزائرية؟ وللإجابة على ذلك اعتمدنا المنهج التاريخي الوصفي، والمنهج التحليلي، وأسفرت أهم النتائج عن فهم الموقف الفرنسي للدفاع عن الجزائر المستعمرة.

الكلمات المفتاحية: الحرب النفسية؛ الثورة؛ الجزائر؛ فرنسا؛ الاستعمار.

تصنيف JEL: B15, D74

Abstract: The French occupation administration adopted psychological warfare approach in its dealings with the Algerian people, driven by a desire to break and mislead the individual Algerian, believing that this would present him to the civilized world with sound standards that would enable him to exchange knowledge and achieve the balance that would save him from his state of isolation. Meanwhile, the leadership of the Algerian revolution sought to understand the reaction as a psychological indicator and to use it in various ways to communicate its message. This study aims to demonstrate the Algerian revolution's keenness to overcome the difficulties and obstacles it faced through lived reality, using various mechanisms of interaction, and to understand the strategy of psychological warfare in the Algerian revolution. Accordingly, the following question is posed: What was the strategy of psychological warfare in the Algerian revolution? To answer this, we adopted the descriptive historical method and the analytical method, and the most important results led to an understanding of the French position in defending colonized Algeria.

Keywords: Psychological warfare; revolution; Algeria; France; colonization.**Jel Classification Codes :** B15, D74

ركزت فرنسا بعد تطور المفاهيم الحربية في العالم الغربي منذ القرن العشرين بأن تبني لنفسها قوة عسكرية جديدة في سلوكها الحربي ضد الثورة الجزائرية، فانتهجت بذلك استراتيجية مجحفة ترجمت في حرب نفسية تكتيكية أرادت من خلالها تضليل الشعب الجزائري واغرائه بنشر أكاذيبها، مما أسفر عن هذا السلوك العدواني السلبي جبهة ثورية مقاومة تحمل خططاً حربية مغايرة للدفاع عن نفسها في إطار زمني محدد للدراسة (1954-1956)، وعرفت الثورة في هذه الفترة مرحلة عسيرة حاسمة، شهدت عوائق كثيرة عاشها الفرد الجزائري، وتعرض لها من مخاطر هددت كيانه الشخصي، وهويته العربية، فكانت الحاجة إلى استراتيجية جديدة لتجاوز تلك الظروف القاهرة.

إشكالية الدراسة: تكمن إشكالية الدراسة في الطرح التالي:

كيف كانت استراتيجية الحرب النفسية في الثورة الجزائرية؟ ومن خلال هذا الطرح انجرت منه عدة استفسارات:

- ما هي الحرب النفسية؟ وما أهدافها؟

- كيف اعتمدتها فرنسا لتعطيم الشعب الجزائري؟

- وكيف تمكنت الثورة من استخدام استراتيجية مضادة في مواجهة إدارة الاحتلال؟

إن هذه الاستفسارات توضح لنا نوعاً من العلاقة الفرنسية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية، ومدى انعكاسها على الأوضاع المعيشية والثقافية الجزائرية.

فرضيات الدراسة: تمثلت فرضيات الدراسة في "اعتماد الثورة على الخطاب الثوري والتوعوي، وتوثيق جرائم الاحتلال كاستراتيجيات لحرب نفسية، وتوثيق التخطيط الثوري الجزائري.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية البحث في كيفية التصدي للاحتلال، وإبراز مهارات التواصل في مخاطبة الجماهير، وذلك بتحريك حسهم الوطني، وإقناعهم بتحقيق الحرية، وكما يسعى البحث لفهم الحرب النفسية وتحليل أدوارها التي استخدمتها الثورة لتعطيم قوات الاحتلال، ورفع معنويات الثوريين وتعزيز روحهم الوطنية.

أهداف الدراسة: تكمن أهداف الدراسة في معرفة استراتيجية الحرب النفسية المتبعة في الثورة، وذكر أهم عناصرها الأساسية للتصدي من خلال تفكيك المشروع الاستعماري، وإبراز أهم الوسائل النفسية التي استخدمها الثوار ضد التهديدات النفسية الفرنسية.

الدراسات السابقة: وكان من دواعي البحث اللجوء إلى أهم المصادر التي تتحدث عن الثورة الجزائرية، نذكر منها كتاب "شهادتي حول التعذيب" للفرنسي بول أوساريس، وكتاب "معذبو الأرض" لفرانز فانون، الذي أدرك نتائج الحرب النفسية، كما اعتمدنا على بعض المصادر الجزائرية التي توثق للعمل الثوري منها: "مذكرات علي كافي"، "ومن الحركة الوطنية إلى الاستقلال" (مسار مناضل) لعبد السلام حباشي، ومن خلال هذه الدراسات التاريخية سنحاول إبراز أهم الجوانب الخفية للحرب النفسية.

منهج الدراسة: وللإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدت **المنهج الوصفي التاريخي** من خلال سرد الوقائع التاريخية، و**المنهج التحليلي** في تحليل أهم الوسائل للحرب النفسية، وفهم الموقف الفرنسي من الجزائر، ورفع الروح المعنوية الوطنية لتطوير هدف الثورة.

واقترضت الدراسة على وجود مقدمة وعناوين رئيسية تحوي عناوين فرعية، فالعنصر الرئيسي الأول نظري عرف بالحرب النفسية وأهدافها، وأما العنصر الثاني تطرقنا فيه لاستراتيجية فرنسا وما نجم عنها من تعذيب، ودمار معنوي، وكيف حاولت فرنسا أن تقمع الفكر الأدبي التنويري، أما العنصر الثالث تناول ردود الفعل الثورية المتمثلة في: (الخطاب، والإعلام، والتعليم، والتوعية)

المواجهة لاستراتيجية الحرب النفسية للاستعمار، وخاتمة شملت مستخلصات استراتيجية الحرب النفسية في الثورة، وما أسفرت الدراسة من نتائج واقتراحات.

2. الحرب النفسية وأهدافها

1.2 تعريف الحرب النفسية:

اهتم بعض المؤلفين الغربيين بالكتابة عن الحرب النفسية، ومنحوها اهتماما خاصا خلال القرن العشرين، حيث ظهرت جليلة في ملحق معجم (ويستر) الدولي الجديد باللغة الإنجليزية عام 1941، وتم تطبيقها في الصراع الدولي منذ البدايات الأولى للحرب العالمية الثانية، ومن هذا المنظور قامت جماعة من الأمريكيين بترجمة بعض المطبوعات الألمانية الهامة بهدف ضرورة استخدامها في ميدان الحرب فكان المؤلف الأمريكي "بول لاينبارجار" أول من استعمل هذا المصطلح بصفة رسمية كعنوان لكتابه، وفي العام التالي ظهر كتاب ثاني ضد ألمانيا لمؤلفه "دانيال ليرنر" (الحلاق، 2020، ص2) الذي تناول بعض كتابات القادة، والمفكرين العسكريين، والسياسيين عن الحرب النفسية والذين وصفوها بالحرب المكملية للحرب العسكرية، فكانت جزء لا يتجزأ منها، وعرفت بمثابة سلاح فتاك لها، كما كانت هذه الحرب أقوى حرب مؤثرة في الأفراد من الحرب المادية المباشرة، ولذلك اهتمت الجيوش بها، ووظفتها في معاركها الحربية، فقامت وزارة الحرب الأمريكية في سنة 1955 بإصدار كتاب يتضمن أحدث الآراء الرسمية و فيه عرفت الحرب النفسية على أنها الحرب التي يتم فيها استخدام مخطط الدعاية، وغيرها من الأعمال المستهدفة للتأثير على آراء جماعات من الناس، ومواقفهم، وسلوكهم (الحلاق، 2020، ص3).

وأما الكاتب العربي "معتز سيد عبد الله" عرفها بالحرب التي يتم فيها ممارسة التأثير النفسي القوي على الأفراد، وتستهدف تحطيم إرادتهم، وهي حرب الأفكار، والتي تظهر على أنها حرب دعاية، وحرب كلمات (عبد الله، 1997: 5)؛ إن هذه الحرب ارتكزت على أدوات، وأسلحة، وتكتيكات، واستراتيجيات لتكون حملة شاملة، وهادفة التغلغل في الثوابت والقيم، وحاولت التأثير في الروح المعنوية لتضعفها بهدف الاستيلاء، وشنتها على مساحة شاسعة، وتجلى هدفها في التأثير على الآراء.

2.2 أهداف الحرب النفسية:

تهدف الحرب النفسية في التأثير السيكولوجي لخلق انطباع أولي في ذهن قادة العدو وجنوده، أو عند معظم السكان المدنيين وإيهامهم بأن الحرب خاسرة، وبأن المقاومة المنظمة هي عمل بلا جدوى، وكما تعمل على تحطيم الإرادة الفردية، وتحطيم الثقة في ذات المواطن، وفرض تبعية للعدو، كما يكمن هدفها في بث اليأس والقنوط، والرغبة في الاستسلام، والكف عن الصراع في نفوس قوات العدو، وتضخيم أخطاء قيادات العدو، وزرع البلبلة بين المدنيين، والقوات المسلحة بحيث لا يثق كل منهم في الآخر (عبد الله، ص12، 13).

وعلى خلاف ذلك، وفي استراتيجية الجهة المقاومة، تهدف هذه الحرب لدحر العدو نفسيا، وقهره، وتتجلى أهميتها في ردع الدولة المعادية رغبة في تحطيم تحالفاتها السياسية، وفي دعم الروح المعنوية، والإرادة للأمة، وتحقيق الانتصار على العدو، والتأثير في الآراء ووجهات النظر، وفي سلوك الأفراد لمساعدة السياسة الخارجية على تحقيق أهدافها (مهدي سميسم، 2004، ص20، 21، 23).

3. استراتيجية الاستعمار الفرنسي في حربه النفسية

3.1 التعذيب والتدمير المعنوي:

انتهجت فرنسا سياسة الحرب النفسية للتعذيب والتدمير المعنوي، فكان لإدارة الاحتلال أن تختار ما يناسبها في ذلك من خطط وتكتيكات لتعقيم الحقائق بغية الاستحواذ على المناطق الجزائرية، وما تحمله من ثروات باطنية وظاهرية، حيث أبدت تسلطها على الشعب الجزائري، وحاولت أن تغرس فيه البلبلة والخوف، وترجم هذا العمل فيما طمحت له من تحقيق النصر على ألمانيا بمساندة الجنود الجزائريين، ووعدهم بمنحهم الاستقلال، وكان ذلك في سنة 1954، فاحتفلت فرنسا بالانتصار على النازية، وبحكم تلك الأحداث طالب الشعب الجزائري حقه في الفوز بالنصر، ولكنه شهد العكس، فقمعت القوات الاستعمارية، حيث تجاوز عدد الضحايا أكثر من 45000 شهيد، وكان ذلك المشهد المأساوي في كل من: (سطيف، قلمة، خراطة) والتي عرفت بمجازر 8ماي 1945؛ لقد مهدت هذه الاستراتيجية عملها الشنيع، وصنعت وعيا مزيفاً انطلقت منه لتفرض سياستها بعد أن أطاحت بهذه النفوس فكان لا بد لها من تضليل شعب يرغب بحريته.

إنّ هذه الأحداث كانت وليدة للحرب النفسية التي خلقت الصراع الفرنسي الجزائري ليظهر رغبة في تحقيق هدف الاستيلاء وبعد أن كانت حرباً تقليدية بالأسلحة لتصبح فيما بعد عملاً مخفوفاً بالعديد من المخاطر الكبرى، وفي إطار هذه السياسة تم عزل المواطنين عن الحياة العامة، والزج بهم في زنزانة منفردة، وقطعهم عن جميع الاتصالات، حتى تولدت عندهم حالة ضغط نفسية أدت بهم للانهيار والموت دون أن تنجح عملية الكشف عن إخوانهم.

إنّ هذه الحرب النفسية قادتهم للتعرض لعمليات العنف الغير مباشر، فبمجرد أن تخبرهم بتعذيب أشخاص في وضع مماثل لوضعهم تتم رؤية وسماع السجناء لينخدعوا بمعاملتهم، فيظهر التعذيب الجسدي، والحرمان من الطعام، أو من النوم؛ ولطالما كانت مسألة الطعام مهمة جداً للإنسان يحتاجها كي يصمد، ويتمتع بالصفاء الفكري، والدهني لأنّ الطعام فيه عناصر غذائية كاملة، ضف إلى ذلك حرمانهم من النوم مما يسبب الجنون، أو الانتحار، ففي هذا العمل تشويش للعقل، وفقد بالإحساس (مهدي سميسم، 2004، ص 149).

ومن أجل تقريب الصورة أكثر والكشف عن سياسة الترمويه الفرنسي، قامت فرنسا بعدة مخططات استخدمت فيها استراتيجية التعذيب الذي ظهر بشتى أنواعه، فمنه من كان بالكهرباء حصّ أهم مناطق الجسد الحساسة كالصعق في الأذنين، وانتشر هذا العمل في أهم المناطق الجزائرية؛ وانتشرت عبر الأرياف مولدات كهربائية لشحن أجهزة اللاسلكي حيث تواجدت بمنطقة الشرق الجزائري (سكيكدة) وحصدت فيها أرواحاً كثيرة من الأبرياء (أوساريس، 2008، ص. ص. 26، 27، 29).

وبناء على ذلك أشار الجنرال الفرنسي "بول أوساريس" (1918-2013) إلى تجاوزات السلطات الفرنسية في ارتكاب جرائمها، وتطرق للمشاركة في عملية التعذيب ليتخلص من عقدة وجود اضطرابات كثيرة متمرده بتلك المنطقة، وكان ذلك في سنة 1955، مما استلزمه الأمر بجمع المعلومات عن هؤلاء المتمردين، فسلب أمنهم النفسي، وهاجمهم بالضغط عليهم لمعرفة أماكن زعماء جبهة التحرير من أجل القضاء عليهم في سرية وصمت (أوساريس، 2008، ص 22).

ومن هذا المنطلق تعدد الاضطهاد حسب ما ذكر "بوردي" ليشهد معظم السكان أنواع التعذيب للمعتقلين وللمساجين، فكان التعذيب بالماء والتعذيب بالجوع، والتعذيب بالقارورة أو العصا وعصب البقر، حيث وصف ذلك قائلاً: (وكل هذا يفسر لنا ملاذاً، لماذا لا يسلم مسجونيه لقاضي التحقيق إلا بعد خمسة أو عشرة أيام، إن هذا خرق فظيع للقانون، الذي ينص على وجوب تسليم المتهم للقاضي بعد إلقاء القبض عليه مدة أربعة وعشرين ساعة على أكثر تقدير، وذلك بمنع تسليط أي عذاب أو ضغط عليه من طرف البوليس، وكان البوليس ورجال القضاء في الجزائر يجدون الحجة وهي كثرة المتهمين وقلة أفراد الشرطة، ولكن الملاحظ أن المساجين بدأ بتعذيبهم منذ اليوم الأول، وبعد أن تمكن البوليس من الحصول على الضحية، والاعتراف بما وقع لهم، فتجد من هو نصف ميت يقضي بقية أيامه في إدارة البوليس لمعالجته، حتى يكون على وضعية سليمة عندما يتقد إلى القضاء (فكاير، 2012، ص. 30).

لقد تفنن العدو في زرع الآلام النفسية والبدنية، وهذه الممارسة اللاإنسانية لم يكن يسلم منها الشعب الجزائري، فكانت قاسماً مشتركاً في كل أنحاء القطر الجزائري، أوجدته بين الفينة والأخرى في أماكن مهينة وذليلة، واستمر التعذيب عبر السجون، والمعتقلات ومراكز التعذيب.

وفي نفس الصدد انتشر هذا القمع في الوسط الجزائري، حيث شهد سجن بربابروس (سركاجي) بأعالي العاصمة الجزائرية في القاعة التاسعة، وفي الهزيع الثاني من ليلة 19 جوان 1956 تم تنفيذ حكم إعدام على أول شهيد دشن المقصلة "أحمد زبانا" (زكريا، دون سنة، ص17)، كما مورس التعذيب أيضاً في منطقة "البليدة" ببلدية "العفرون"، وحسب شهادة سكانها شهد حوش (فوترى) مركزاً للتعذيب، حيث حمل المسجونين في الليل إلى حافة "واد جر" القرية من المركز لقتلهم، ثم تم دفنهم بشاطئ الوادي ذاته، خاصة وأن رمال الحواف كانت سهلة الحفر؛ وكان معظم المقبوض عليهم يموتون في منطقة تمتد حتى "تيازة" شمالاً و"خميس مليانة" غرباً (هارون، 2007).

ولا مناص من القول أن لهذه العمليات العسكرية مؤسسات، ومراكز كالمفرزة العملياتية للحماية، حيث كانت مصلحة مركز التنسيق بين الجيوش Coordination de Centre Interarmées يترأسها العقيد Simoneau، وتندب من مصلحة التوثيق الخارجي والجوسسة المضادة (SDECE)؛ فهذا المركز أسسه الجنرال "Ely Paul"، واعتبرت هذه المؤسسات العسكرية في 27 أوت 1956 من أهم المصالح للأركان العامة للجيش الفرنسي، إذ كان يعتمد عليها مركز التنسيق في تأدية عمله المتمثل في تفكيك شبكات جبهة التحرير الوطني بكل الوسائل المتوفرة، والمتاحة (غري، 2008، ص. 214).

وفي هذا الصدد حددت الحكومة الفرنسية مهام ووظائف المفرزة العملية للحماية بتجميع المعلومات المتعلقة بالمجاهدين وتنظيمات جبهة التحرير الوطني ومصالحها الخاصة، وتم تحويلها للمكتل الثاني في أقرب الآجال لاستغلالها، كما تمت المشاركة في العمليات العسكرية مع مختلف الوحدات، حيث وزع الأشخاص الذين تم الانتهاء من استنطاقهم إلى مراكز الفرز والعبور، وزرع العملاء والمرشدين بين الأوساط الشعبية، وتكفل عدد من ضباط الاستعلامات وصف الضباط بعملية الاستنطاق، وساعدهم في ذلك عدد من المترجمين ذوي الأصول الأوروبية، وكلما استنطقوا ضحاياهم، أخبروهم بأنهم يعرفون

كل شيء عنهم، وإذا رفض المشتبه به التعاون مع مستنطقيه لجأ للتعذيب الشديد حتى يرغم على الاعتراف (غربي، 2008، ص.215).

وكما يجب الأخذ بالحسبان ما ذكر فانون في سياق التعذيب بالقرى، حيث كانت هناك قرية ريفية بمقاطعة الجزائر هاجمها جنود من الميليشيا الفرنسية، واختطفوا أربعين جزائرياً من أسرهم وقتلوهم 1956 (فانون، 2015، ص.218)، وغالبا ما كان يتم إسكات تلك الأصوات المنتقدة إذ لم تكن هناك رحمة ولا عقلانية.

وعلاوة على ذلك كانت الحرب النفسية تزرع الخوف، والبلبل في النفوس، حيث قامت السلطات الفرنسية باختطاف طائرة الزعماء الثوريين (أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد بوضياف، محمد خيضر، والإعلامي مصطفى الأشرف) في 22 أكتوبر 1956 وتم قرصنتها في الأرجاء الدولية.

وتفسيرا لذلك، كانت هذه العملية عملية استخباراتية فرنسية تعمل جاهدة لكسر الثورة، حيث سعت فرنسا من خلالها لإجهاض الوحدة المغاربية، وإضعاف الروح التحررية بسبب أن القضية الجزائرية كانت من بين أهم النقاط التي أثبتت في نقاش مؤتمر باندونغ المنعقد في أبريل 1955، وفيه تم إصدار قرارات لصالحها بالاعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، واستقلاله، والتوصية بعرض القضية في دورتها المقبلة، وكما تجدر الإشارة لهجمات الشمال القسنطيني التي وقعت في أوت 1955، والتي جعلت من فرنسا تشتت غضبها، وتزرع الهول وتقوم باختطاف قادة الثورة، وفي ذلك أشار بن بلة إلى أنه قبل شهر واحد من عملية الاختطاف، نجحت البحرية الفرنسية في احتجاز الباخرة المصرية (لاتوس) في عرض البحر المتوسط، وفيها كميات كبيرة من الأسلحة متوجهة لجيش التحرير مما أثار ضجة كبيرة، وسبب في انهيار العلاقات بين مصر وفرنسا، كما كانت أحد أسباب العدوان الثلاثي على مصر يوم 28 أكتوبر من طرف (فرنسا وبريطانيا، وإسرائيل).

لقد طلبت القوات الفرنسية من الطائرة التي ركبها الزعماء الثوريون تغيير مسارها من المغرب إلى الجزائر، وعدم مشاركتها في مؤتمر تونس، وأمرتها بالتزول في الدار البيضاء، فتم تكبيل زعماء الثورة، وأوضح بن بلة عن طبيعة سجنهم، حيث تم نقله مع رفاقه بعد أسبوع إلى فرنسا بالطائرة أين تم وضعهم في زنازين انفرادية وكان ذلك في سجن "لاسنتيه" أقصى السجون الفرنسية حسب شهادة محاميه "مادلين لافي فيرون" (بن بلة، 2019، ص.11)، وخلال تلك الفترة، تم التحقيق معهم عسكريا بتهمة الخيانة العظمى، والتمرد وبعد فترة نقلوا إلى جزيرة تسمى "بالين" وسمحوا للمحامين بزيارتهم هناك (بن بلة، 2019). وهكذا انتهجت فرنسا استراتيجية تتضمن الإساءة النفسية، واستخدمت التهديدات العنيفة.

2.3. مهمة الفصائل الإدارية وسلطة القمع الفكري

. مهمة الفصائل الإدارية:

اختلفت أدوات الحرب النفسية في أسبقية استعمالها من ناحية، وفي أسلوب التعامل النفسي، فالكثير من الفرنسيين في بداية الثورة ساندوا الإدارة الاستعمارية في قمعها، وحرما وإبادتها للشعب الجزائري، فتوخت إدارة الاحتلال تزييف الوعي لتحقيق استمرارية الاحتلال، حيث شهدت فترة الاحتلال الفرنسي بروز مؤسستين اضطلعتا بمهمة الحرب النفسية منها (المكتب الخامس) الذي عرف باسم المكتب الجهوي للعمل النفسي، والذي شرع في العمل ابتداء من شهر جويلية 1955، وفيه تم ضبط مهمته في التكوين والإعلام والاضطلاع بعمل سيكولوجي يستهدف الشعب، وكان قد توزع المكتب على الأقسام العسكرية الثلاثة، القسم

العسكري بوهرا، القسم العسكري بقسنطينة، والقسم العسكري بالجزائر، وكان لكل قسم مكتبه الخاص به (قندل، 2013، ص. 268، 269).

ومن هذا المنطلق انتشرت المكاتب العربية لتتولى شؤون الجزائريين عبر الأجزاء المحتلة من الجزائر، وكان على رأس كل مكتب عربي ضابط فرنسي يعرف العربية بالطريقة التي كان يعلم بها "برنيه" فتطور الوضع إلى "جونار في التعليم على أن يصبح الجزائريون مدرسو اللغة الفرنسية، فكانت بذلك المكاتب العربية تتطور إلى فصائل إدارية متخصصة موجودة —: (البليدة، تيزي وزو، الجلفة، الأغواط، بوسعادة لتتطور إلى فصائل إدارية متخصصة (S.A.S) سنة 1955 تهتم بدراسة التاريخ المحلي للجزائر، ومعرفة الأعمال العمومية الخاصة (Fré).

(Meaux, 1993, p60)

ظلت فرنسا تهيمن على الشعب الجزائري، وهذا ما مكّن بعض الرؤساء للفصائل الإدارية التكلم باللغة العربية بسلاسة مع السكان (قندل، 2013، ص. 271)؛ حيث استمرت سياستها في تطويق الثورة وخنقها، فتم إنشاء فرق للحركة كان أول ظهور لها بالأوراس، فبلغ عددهم في 1 جويلية 1955 بأريس (176 حركيا)، و(200 حركيا) بدوار أشمول و (70 حركيا) بكميل، حسب احصاء بيار مونتانيون" واهتم "شال" إلى حد كبير بهذه الفرق (قندل، 2013، ص. 277، 278).

لقد كان الغرض من هذه الاستراتيجية توفير الحماية اللازمة للقرى، والمداشر، ومراكز التجمع التي أنشئت قصد عزل الشعب عن المجاهدين؛ واعتبر العمل مع الحركات المناوئة عملا يهدف التقرب من السكان، ويسهل مهمة الوساطة، فظهرت نماذج عديدة من الشخصيات المناوئة كان من بينها "الباشاغا بوعلام" الذي خدم فرنسا وتودّد لها، فمنحته السلطات كل الوسائل لقمع الجزائريين والتنكيل بهم، حيث شارك في مؤتمراتها، ودعا لمواجهة الثورة بقوة (مناصرة، 2007، ص. 19، 20).

وإلى جانب ذلك آلت فرنسا للإغراءات المادية في استخدام وسائلها النفسية، حيث فتحت المدارس القصدية في الأرياف والقرى، وفي كل التجمعات السكانية، وقامت بمساعدتهم بوسائل تعليمية، وقدمت لهم الأدوات المدرسية، والألبسة، ونظمت الرحلات لهم داخل الوطن وخارجه، وشهد البعض منهم الذهاب إلى فرنسا، كما عملت على تنشيط الحركة الرياضية، وذلك عن طريق تكوين فرق رياضية، خاصة في مجال كرة القدم، وبالإضافة إلى ذلك اهتمت بفرق الأغاني في كل أنحاء الوطن، وتم اغداء الأموال على الخونة كما تم في شهر جويلية 1956 توفير المساعدات الطبية اللازمة، سواء تعلق الأمر بالعلاج أو المتابعة الطبية، فضلا عن تقديم الدواء لكل حالة مرضية ساندتها حوالي كل من خمسين طبيا من اللفيف الأجنبي تحت مسؤولية رئيس لاصاص (قندل، 273، ص. 2013، 275).

وفي ظل هذه الإغراءات كان لزاما على القوة الحاكمة أن تحسم الأمر في قمع أي تحرك شعبي، هذا ما جعل الجنرال (بوفير) يحدد وضع الجزائر مؤكدا لفرنسا أن "تستعيد هيمنتها على المسلمين، ولاستعادة الثقة كان لابد من معالجتهم من الأمراض المزمنة المنتشرة في الجزائر: كالبطالة، ومشكل الأجور والتسلط الإداري، وكان على العدالة أن تلعب دورها الناجح في الضغط من أجل تطبيق هذه السياسة" (مناصرة، 2007، ص. 22).

. سلطة القمع الفكري:

ساهم الأدب في تحفيز الروح الوطنية، وتعبئة الجماهير الشعبية، وتوثيق معاناة الشعب، وتضحياته، الأمر الذي جعل فرنسا تنتهج وسيلة القمع الفكري لتحطيم المثقفين وقتلهم، فعمدت منذ عام 1955 إلى اعتقال جميع الرواة الذين أثروا في المجتمع بكتاباتهم وقصصهم البطولية، فكان كلما قصّ الراوي كشف للجمهور عن إنسان جديد (فانون، 2015، ص.194).

ومن هذا الجانب أدركت فرنسا خطورة القلم، وحاربت رجال الفكر والأدب، وأبدت مجلة "الفكر" معارضتها لكتابات "محمد ديب" (1920-2003) الذي استطاع من هذا الجانب فضح مساوئ الاستعمار، وتنوير القراء، وإيقاظ وعي الجماهير، فلجأت السلطات الفرنسية في الجزائر إلى منع تسويق كتابه "في المقهى"؛ كما أوقفت "جريدة البصائر" الجريدة الثقافية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 7 جانفي 1956 التي كانت تهدف لإصلاح المجتمع الجزائري، محاولة بذلك رفع الوعي الوطني والديني، وتنقيف الأجيال باللغة العربية، والقيم الإسلامية، وتطهير الإسلام من البدع والخرافات، كما لجأت المنظمة الإرهابية الفرنسية "اليد الحمراء" بتاريخ 30 مارس 1956 إلى قتل الأديب "رضا حوحو" صاحب كتاب "نماذج بشرية" (جلالوي، 2013، ص.114). إن استراتيجية الحرب النفسية الفرنسية الموجهة للوطن الجزائري بطبيعتها وأدواتها كانت تهدف البعد الهوياتي، واحتلال العقول، وهدم البنى الحضارية للمجتمع الجزائري، والذي أخضع البلاد لصراع مديد شمل سيطرة عسكرية أدت بالثوار لتخطيط استراتيجية حرب نفسية مغايرة. بمختلف وسائلها.

4. ردود الفعل الثورية الجزائرية

1.4 الخطاب الثوري والإعلام المقاوم:

. الخطاب الثوري:

كان الخطاب الثوري على المستوى الداخلي كوظيفة لحرب نفسية، حيث فرضت الثورة استراتيجية مختلفة لمواجهة العدوان الفرنسي، فالت إلى التوجيه والتوعية، مستندة في ذلك على أسس، ومبادئ تعارض نوايا المستعمر، وأدركت خطورة الوضع الجزائري فكان لزاما عليها تشكيل استراتيجية كفيلة للمواجهة بخطاب معين من الثقافة الجزائرية، مما أدى ذلك في الخوض بمعركة تشهد لها تجربة إنسانية فسّرت كوعي تاريخي لدى أمة ووقعها النفسي، والروحي كاد يساوي ثورة عسكرية بأكملها ضد عدوها، فقد تقمعت الثورة العسكرية، أمّا الأفكار فتبقى حية مدى الدهر، وعليه تمّ انتشار الشعب من حالة الضياع التي تاه فيها، وتمّ التصدي لمناورات العدو (بوطرفاية، 2012، ص.6).

لقد فرضت المواجهات اليومية بين الثوريين، وتقيد المبالغ المالية اليومية من الإعانات، وغيرها تواصل بين الجنسين، فبحكم القيود المفروضة على الأهالي من الرجال، كانت النساء تقوم بدور أعوان الاتصال، فتقطع الكيلومترات للزيارات العائلية لتبادل المعلومات بين المقاومين (حباشي، 2008، ص. 164). وهذا إن دلّ إنّما يدل على التآزر، وتقاسم الهموم، والأحزان في المجتمع الجزائري رجالا ونساء وعلى نمط الأوضاع السائدة في تلك المنطقة، بالرغم من المخاطر الشديدة.

وفي ذلك حدّد المستعمر للمواطن ظلما وجورا ألزم وعيا ذاتيا، فالظالمون هم المحركون الأساسيون للوعي، واستغلالهم وسياساتهم اللاإنسانية كشفت مهارات لعزيمة ثورية، جعلتهم يتخذون القرار الأنسب للقيام بالثورة، ويفكرون في آليات تقوّدهم لذلك، فكان البطل الثوري "سويداني بوجعة" (1926-1956) خطيبا مؤثرا في محيطه، وهو بمثابة أحد الكشفيين والرياضيين ذوي الخبرة في التعامل فكان المنظم لمظاهرة خاصة في قالة ضد العنصرية، كما كان ناشطا ثوريا، وبفضله تمّ تأسيس الفريق

الرياضي المشهور في كرة القدم (الترجي الرياضي المسلم بقالة)، لقد كان الشاب الذي تحمّل المسؤولية وهو ابن الواحد والعشرين، فإذا تحدّث أقنع: "ألسنا بثوريين، نعم أم لا؟ إذا كنا نزهاء، وأوفياء مع أنفسنا، فما الذي ننتظر إذن لإعلان المعركة الآن" (حباشي، 2008، ص216).

وفي هذا الشأن لا ننسى أسلوب التحدي كآلية لقيام الثورة نستخلصه من قول محمد بوضياف: "سنفجر الثورة بكم أو معكم أو حتى ضدكم إن اقتضى الأمر سنفجرها ولو مع قردة شفة" (زبيري، 2011، ص7). وأسلوب الأمر للعربي بن مهدي: "القوا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب".

وهكذا أخذت الكلمة بعدا في تاريخ الثورة الجزائرية، وتظهر كلمة السر "خالد وعقبة" إبان تفجير الثورة التحريرية كأداة للتفاهم ووثيقة تعامل بين المجاهدين، فيتراسلون فيما بينهم لاستلام نصيبا من المال، أو سلاحا وهم في أمس الحاجة له، فيتفق المرسل والمرسل إليه على كلمة يتعاملون بها في معاركهم. وفي هذا المضمون كان الثوري "كريم بلقاسم" يرى الثقة المطلقة في (كلمة السر)، والمعاملة بها بلا خوف (الصادق، 2013، ص50).

وإلى جانب ذلك كانت للكلمة مهام في القاعدة الهيكلية في المنظمة الخاصة، وأثناء التدريبات، حيث كان هناك أنصاف الأفواج التي كانت تضم ثلاثة أشخاص من بينهم (المسؤول)، أمّا الأفواج، فكانت تتكون من ثلاثة أنصاف أفواج، والمسؤول، والفرع يضم عددا من الأفواج (حباشي، 2008، ص116).

وعلى هذا الأساس، ومن خلال ما هو متداول بين الثوريين من كلمات، كان الفرد يعرف منزلته، ورتبته ومهامه، فالخطباء لا يستطيعون إثارة إرادة التضحية عند الشعب إلا إذا نمت مفردات هذه الإرادة، ورفعت مستواها قبل ذلك، فالمربون، والوعاظ، والخطباء ينمون الإرادات، ويستثيرون الإرادات الكامنة، فلا يستطيعون عمل شيء إذا كانت هذه الإرادات ضعيفة أو ميتة (الكيلاي، 1988، ص108).

ومن هذا المنطلق قرّرت الجماعة الثورية (محمد العيشاوي، ديدوش مراد، محمد بوضياف، العربي بن مهدي، عاجل عجول) كتابة بيان أول نوفمبر بناء على رؤوس الأقسام التي زودتهم بها مجموعة 22 عضو حسب ما بدر من الإعلامي الثوري عبد القادر نور واعتبرت وثيقة بيان أول نوفمبر أهم وثيقة إعلامية صاغتها عبقرية الرجال الذين صنعوا نوفمبر، والذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية تفجير الثورة المسلّحة، وقرّروا القاءها بين الجماهير العريضة، فكان البيان نداء صادقا، وقويا للأمة (عباس، دون سنة، ص21).

إن هذه الوثيقة تطرّقت إلى مبادئ إسلامية، وإلى تحقيق وحدة الشمال الإفريقي داخل إطارها الطبيعي العربي والإسلامي وضمن هذا الإطار يلاحظ الدلالة القوية لإبراز الهوية الوطنية، وكان انتشارها ضمن الأوساط الشعبية ما هو إلا نداء للشعب الجزائري وعليه تمت ترجمتها للغة العربية في 2 نوفمبر 1954، وصبغت مقتطفات منها في جريدة "الأهرام المصرية" حسب ما بدر من الأستاذ "محمد لحسن زغدي، كما تمت الترجمة ومقتطفات منها في جريدة "العمل" المغربية، وبعض المقتطفات في جريدة "السعادة" المغربية، لقد شمل البيان على قوة التبليغ ليصل إلى كافة الجماهير الشعبية، حيث تبلورت صياغته في:

- وضوح الهدف وذكر أسباب اتخاذ الجهاد كوسيلة لتحقيق الهدف.

-التركيز على وحدة الأمة الجزائرية والبحث عن السند الخارجي (لنصرة القضية الجزائرية).

-التركيز على الوحدة الإسلامية (باختيار المواصفات القيادية).

-البعد عن الصراعات الضيقة، وتقديم المصلحة العامة على الخاصة، فكان تحديد الهدف الأسمى هو مواجهة العدو.

-إتاحة الفرص لجميع المواطنين، حيث الاعتزاز بالهوية الوطنية الجزائرية، واحترام حقوق الآخرين، فكانت النصيحة بالنفس والمال

في سبيل الله: أما نحن العازمون...فإننا نقدم للوطن أنفس ما نملك (زغيدي، 2009).

وهذا الصدد تبرز النماذج الواضحة التي ذكرناها في اتخاذها شكلا خاصا يبرز تعبيرا واضحا في السلوك النفسي للثوريين

ليحقق هدف الترابط المبرمج وفق مبادئ أخلاقية للحرب النفسية.

كما تجدر الإشارة أيضا لخطابات "محمد البشير الإبراهيمي" التي لعبت دورا رياديا في الخطاب الديني: "هلموا إلى الكفاح المسلح، إننا كلما ذكرنا ما فعلت فرنسا بالدين الإسلامي في الجزائر، وذكرنا فظائعها في معاملة المسلمين، لا لشيء إلا لألهمّ مسلمين...فسيروا على بركة الله وعونه، وتوفيقه إلى ميدان الكفاح المسلح (الإبراهيمي، 2009، ص19)، وإلى جانب ذلك عرض رسالة صوتية إلى الدول الإسلامية المشاركة في مؤتمر باندونغ 1955: "...فعلى الدول الإسلامية أن تعترف كيف تشغل هذه القوة الهائلة وكيف تلوح بها في وجه الاستعمار (الإبراهيمي، 1997، ص23)، ومن هذا الخطاب البليغ كان قد شارك كوفد لجهة التحرير في باكستان سنة 1956.

كما تطلّب الأمر نظرة واقعية حرصا على المنظور السياسي، فأصبح من اللازم قيام مؤتمر الصومام والذي انعقد في 20 أوت 1956، وتم صدور وثيقة تنص على تنظيم جيش التحرير، وتوحيد أجهزته، وفي ذلك تم مجاهدة التجارب، واستعمال اللغة الإدارية والتقارير، والمراسلات، وأصبحت المصطلحات المتداولة: المجاهد، المسبل، الفدائي، المجلس الشعبي، الشرطي، الدركي، الاشتباك الكمين (كافي، دون سنة، ص.155)، ونظّم الجيش إلى فيالق، والفيلق تكون من ثلاث كتائب، والكتيبة من ثلاث فرق، وتمّ تحديد معنى الكلمات التالية:

-"المجاهدون": هم الأشخاص الذين يشنون الهجمات.

-"المسبلون": هم الذين يقومون بتموين الجيش وحراسته.

-الفدائيون: هم رجال مسلحون يعيشون في القرى والمدن.

كما جاء المؤتمر بقرارات نصت على إحداث منصب للمحافظ السياسي في جميع مستويات تنظيمات جيش التحرير الوطني من القسم إلى قيادة الولاية، واشترط في المحافظ السياسي أن يقرأ، ويكتب بالعربية من أجل التوعية (زغيدي، 2009، ص.153). لقد جاء مؤتمر الصومام من باب الدعاية لتركيز جبهة التحرير تنظيماتها في جميع أنحاء القطر، وتوعية المقاتلين في الجبال سياسيا، وفضح التحريضات، وتعميم شعارات الجبهة، ومضاعفة مراكز الدعاية، ونشر كتيب نحو الثورة (دهاش، دون سنة، ص.153). وهكذا أصبح للثورة حلولا مناهضة للاستعمار، وهذا إن دلّ إنما يدل على تطور أفكار، وسلوك قادة الثورة الجزائرية.

وتجدر بنا الإشارة أيضا إلى ذكر أهم الوسائل الاستراتيجية المساهمة في ضعضة المستعمر (الكتابة والتأليف) حيث ظهرت وسيلة كتابة(الشعر) الحماسي والنضالي، والقومي كرد فعل لتحطيم كبرياء وجبروت الإدارة الاستعمارية، والتي هدمت نفوس

الجزرالات الغاشمة والجسارة من جهة، ومن جهة أخرى رفعت من معنويات الجندي والمجاهد الجزائري، ودفعته إلى مكاسب تحريرية عظيمة (بن إبراهيم حريزي، 2014، ص.9).

ومن أبرز هؤلاء الشعراء الوطنيين والثوريين المنضوين تحت راية جبهة التحرير الوطني المستجيبين لنداء أول نوفمبر والمدافعين عن الشعب الجزائري بسلاح الفكر، والقلم الجزائري الناصع، ومدعين للثورة التحريرية في كفاحها الثوري، ودحر آلية المستعمر واستراتيجيته وثقافته الهمجية الشرسة "محمد العيد آل خليفة" (بن إبراهيم حريزي، 2014، ص.ص. 148، 149)، واتضح ذلك لنا جليا في مقتطف شعري له اخترنا منه هذه الأبيات:

نوفمبر أذكى فـؤادي شعوره وألهم إحساسي فألهم الشعـر
نوفمبر جلى عن بلادي ظلامها نـوفمبر في آفاقها أطلع الفجر
ففاتحه كان أعظم فاتح لنا كسب التحرير وانتزع النصرا

وبواقع صريح، وأحداث صارخة أبدع الشاعر "مفدي زكريا" بدوره في تنظيم أبياته الشعرية الثورية رغم تواجده في سجن بربروس فألف العديد منها: "نشيد "قسما" بتاريخ 25 أبريل 1955 وهو بالزنزانة رقم 69، وقصيدته «الذبيح الصاعد» في 19 جوان 1956 و"نشيد الشهداء" (اعصفي يا رياح، واقصفي يا رعود) صدر فيها أمر من جبهة التحرير إلى المحكوم عليهم بالإعدام أن يرددوه قبل الصعود للمقصلة (زكريا. دون سنة. ص.ص. 61، 17، 73). وبذلك كان للشعر تجاوبا صادقا مع مشاعر الثوريين.

. الإعلام المقاوم:

إنَّ من أجل تحقيق مجتمع إنساني تسوده المساواة، فكَّرت جبهة التحرير الوطني باستخدام وسيلة (الإعلام)، إذ تمكنت الثورة وبنجاح كبير من توظيف ذلك، فلعب الإعلام دورا مهما، ارتكزت عليه الحرب النفسية في الثورة الجزائرية لتغيير مفاهيم العدو، فالتغيير أيا كان نوعه لا يحدث في المجتمع إلا إذا وقع بتزويد الجماهير صاحبة التغيير بوعي يجعلها تدرك واقعها، وتؤمن بضرورة العمل من أجل تحسينه أو تغييره جذريا، ولا تتم التعبئة الحقيقية إلا إذا تمكَّن الفكر من جعل الذهنية متفتحة رافضة.

وفي خضم ذلك كان تأسيس الإذاعة السرية يوم السادس عشر من ديسمبر 1956 بأمر من قيادة الاتصالات آنذاك، وعلى رأسها المجاهد "عبد الحفيظ بوصوف" لتكون منبر الاتصال (صوت الجزائر الحرة المكافحة) لكل أنحاء العالم، وإبراز حق الشعب الجزائري في الظفر بالحرية والاستقلال.

لقد كانت هذه الإذاعة متنقلة بين الحدود الجزائرية المغربية تجوب الوهاد والفجاج محتمة في كثير من الأحيان بالأشجار الغابية الكثيفة ينطلق صوت الجزائر، وبكل فخر واعتزاز بفضل العاملين بها، كانت متنقلة بضواحي الناظور حيث بدأت المرحلة الأولى بإرسال على متن شاحنة من نوع GMC أخرجت من القاعدة الأمريكية بالقيظرة عام 1956، وبتقنيات، وبإمكانات جد محدودة ومن بين الأجهزة المستعملة آنذاك جهاز إرسال قوته 400 واط استعمله الجيش الأمريكي في الحرب

العالمية الثانية، وبعد ذلك تم استعمال جهاز آخر تم اقتنائه من البحرية الأمريكية TEB- MARINE حيث تبلغ قوته 15 كيلواط، فكان هذا الجهاز معد ليعمل بالمورس، وكانت الموجات التي تبث الإذاعة عليها هي ثلاث موجات قصار 25 متر، 31 متر، 49 متر (نور، 2006، ص. 33، 34).

لقد تم البث مدة 6 ساعات يوميا من الساعة 5 إلى 7 صباحا، ومن الساعة 12 إلى 14 زوالا وفي السهرة من 21 إلى 23 ليلا و طال البرنامج حسب المادة الإعلامية، فتناول أخبارا عسكرية وسياسية وتعليقا بالفصحى، وتعليقا بالدارجة، ونصف ساعة بالقبائلية والنصف الآخر بالفرنسية، وكان من بين الشخصيات البارزة التي تولت ذلك المهام: "عبد الحميد مزيان" الذي أذاع بالفرنسية، "عبد السلام بلعيد" الذي أذاع بالقبائلية و"مدني حواس" الذي كان يعد تعليقا يوميا بعنوان كلمة اليوم، وبرنامج الجزائر في أسبوع، "رشيد نجار"، "الهاشمي التيجاني" الذي خلف "عبد المجيد مزيان"، و"عبدالرحمان لغواطي" الذي كان مكلفا بالصيانة، لأنه كان تابعا لمركز التدريب للمواصلات السلوكية، واللاسلكية بضواحي الناظور، و"موسى صدار"، و"عيسى قوار"، و"محمد القوردو" لوصيف بوغرة "يوغرتا"، "خالد التيجاني"، و"الشيخ رضا بن الشيخ الحسين" المدعو "ميمون"، حيث حاولت السلطات الاستعمارية اكتشافها فلم تفلح، كما خابت مساعيها في التشويش عليها كذلك (نور، 2006، ص. 35، 36).

وبالرغم من الأجهزة البسيطة والسياسة الحكيمة لقادة الثورة التحريرية، كان الإعلام سلاحا مجديا في يد الثوار تضاهي فعاليته الأسلحة الحربية، فعبر الأمواج الأثرية حققت حلم المجاهدين في الدفاع عن قضيتهم الوطنية، وبعثت الثقة في نفوس الجزائريين، وتم الرد على الدعاية الفرنسية المغرضة التي مفادها أن الجزائر فرنسية، وبفضل تقنيها الشباب الذين ابتكروا عدة أساليب استطاعت مواجهة مخططاتهم كتقريب موجات بث الإذاعة السرية من موجات فرنسا أو أي دولة لها علاقة طيبة معها، وكانت كل عملية تشويش تقوم بها فرنسا عقبها مباشرة تكون هي أول المتضررين، وبعدها الدول الصديقة لها.

لقد مكّنت الإذاعة الفرد من التأكد في حل قضايا وموضوعات معينة، وخاصة عندما تتضارب أقوالهم، وتنتشر الشائعات وتخلق نوعا من الوعي المشترك بينهم، فيصبح هؤلاء معينين، ومهيئين للاستجابة بصورة مشتركة تجاه هذه الأحداث والقضايا، ومنها يستطيع الناس أن يعبروا عن آرائهم، وأن يتسلحوا بمعرفة حقوقهم ليدافعوا عنها (جواد، 2020، ص. 38).

ومن تلك الاستراتيجية تكون الثورة قد حققت الصوت المسموع عبر الأثير (صوت العرب من القاهرة) الذي انطلق منه بيان أول نوفمبر مؤكدا انتماء الجزائر العربي الاسلامي، رسالة الحرية للعالم العربي، فالتغطية الإعلامية للوطن العربي كانت شاملة من طنجة إلى بغداد (نور، ص. 17، 32)، وكان التعبير الصادق عن آلام الجماهير العربية، وأمالها والدعوة إلى تحرير البلاد العربية من الاستعمار والعمل على جمع كلمة العرب، وحشد قواهم ضد أعداء العروبة.

إنّ هذه الحقيقة كانت مجسدة في الدور الذي لعبه العديد من الإعلاميين وأبرزهم صوت "عيسى مسعودي" الذي قال فيه الرئيس الراحل "هواري بومدين" أنه يمثل نصف الثورة التحريرية؛ وبعد تبلور الفكرة العربية في رسم صورة العدو، دعمت الدول الثورة ومنها على سبيل المثال إذاعة "تيرانا" بألبانيا التي خصّصت حصّة مذاعة باللغة العربية، إضافة للغات أخرى أجنبية (سيدي موسى، دون سنة، ص. 311)؛ فلقد برهن الجزائريون للعالم أن عقيدتهم الإسلامية أقوى من الأسلحة، فكان نشاطهم السياسي الديبلوماسي مسموعا في (لندن)، وفي (بون)، (استكهولم)، (نيويورك)، (موسكو)، (بلغراد)، (بكين)، (طوكيو)، (غانا)، و(المالي)، وبهذا يكونوا قد عرفوا بثقافتهم، وتقاليدهم (Dahleb, 1990, p.p. 33, 37).

وبطبيعة الحال فلا يمكن أن ننسى دور الصحافة، والجرائد في إيقاظ وعي الجماهير، ونذكر على سبيل المثال: جريدة (المجاهد) التي صدرت في جوان 1956، والتي كانت ذات نشرة بالفرنسية، ونشرة بالعربية، حيث حرّر (العدد الأول) من طرف "نسيمة هبلال" و"عزة بن زكري" وكان يديرها في تونس "محمد المليبي"، كما صدر (العدد الأول) من جريدة "المقاومة" في جويلية من نفس السنة وأضاف "بوعبدلي" النسخة العربية (Boukli, Touarigt 2013, p.p. 40,41).

ومن الملاحظ كانت الصحف رسالة حضارية ذات صبغة سياسية، وثقافية، ودينية إصلاحية، فالمقام لا يتسع لذكر جميعها وإنما أوردنا نماذج منها في إطارنا الزمني المحدّد، وذكرنا دورها الهام في ترسيخ قيم التحرر، وتعبئة الجماهير، وتوحيد الصفوف حول الثورة، ولعل خير دليل على ذلك شهادة صحافي أمريكي حيث قال في صحيفة "لوموند الليسترد" الصادرة في أمريكا الجنوبية "...سر قوة الجزائريين ليس فيما توصل الشعب في الحصول عليه من العتاد ولا في العدد، بل شعور هذا الشعب كونه عربيا لا فرنسيا..." (بومالي، دون سنة ص.ص. 68، 69)، وفي هذا المضمار عبّر المجاهد "عبان رمضان" عن السلاح الذي حمّله كل المجاهدين: "أما القلم، وأما الكلمة، وأما المسعى الحميد، فلا يقوم بأعبائها إلا الندرة من المجاهدين" (المدني، 1982، ص. 105).

4. 2 الوظيفة النفسية للتعليم:

لقد كان في الوطن الجزائري شعب عربي مسلم ذو ميراث روحاني عريق، يهوى التعليم العربي، ويسعى لحفظ تكوينه الاجتماعي ولحفظ هويته، وفي خضم ذلك تم تكوين المدارس الحرة التي رأى فيها ابن باديس "بأن وضع الجزائر اللغوي لا يمكن أن يتغيّر أو يتحقق إصلاحه إلا إذا تغيّر أفرادها، وأبناءؤه لقوله تعالى: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم". فتمكن ابن باديس بفضل تجربته في الحياة أن يبني صرحا فكريا، وكتب في ذلك "محمد الحسن فضلاء" من خلال (المسيرة الرائدة للتعليم الحر بالجزائر) حيث تناول فيه جمع العديد من تاريخ المدارس الحرة، وكيفية تأسيسها وإحاقها بجمعية العلماء، نذكر منها على سبيل المثال: مدرسة (تذهيب البنات) بالبلدية لسنة 1955، وفي الجنوب مدرسة (الحياة الابتدائية) بالقرارة، مدرسة (الإصلاح) بغرداية، مدرسة (الجابرية) ببني يزقن، وهذه المدارس كانت شاهدة على مقاومة الشعب الجزائري للفرنسة، فبلغ عددها لهذه السنة أربعمئة مدرسة، وبلغ عدد معلميه 700 معلم في حين بلغ عدد التلاميذ زهاء 7500، لقد تعددت هذه المدارس الحرة المكافحة، ومن هنا نستدل بقول "ابن باديس": "إن الحياة تبعث من المدارس فيجب أن تكون المدارس أول ما نهتم به، ونسعى لتحقيقه، وكل من يعارض في تأسيسها، فقد عارض في نهضة الأمة ونهضتها" (بوخاوش، 2013، ص. 74).

إنّ أهم استراتيجية اعتمدت في المدارس (الجانب التطبيقي العملي)، و(تعويد التلاميذ على الخطابة والكتابة)، وعلى هذا الأساس سمحت المؤسسات التعليمية بتراكيب المعطيات المعبرة عن المسعى الهادف للمصلحين، والمربين، والمحافظين إلى إعادة بناء المشروع اللغوي النهضوي دون اغفال مقتضيات الصراع التاريخي، فحاولوا الارتقاء بمستواهم اللغوي ليشاركوا في مجريات الحياة، حتى يتمكنوا من إيصال رسالتهم بدقة وتأثير كبير على الجماهير الشعبية.

أمّا بالنسبة للتعليم الخارجي ارتكزت الحرب النفسية في الثورة الجزائرية خارجيا على أشخاص في مستوى الاحتراف، تعدّدت النماذج منهم، وتطلّبت رجالا فكان فيهم الطالب العامل، والصحفي الثائر، فكان للأول التأكيد على الانتماء الإسلامي (حرف الميم) ولم يفشل في إدراك أضرار الاستعمار رغم معاناته في باريس من خطورة المعيشة. لقد كان الطلبة يعملون بجد في أي وظيفة من أجل الحصول على المال لتحسين مستواهم الدراسي، والمعيشي، ونظرا لعدم وجود دعم من الحكومة العامة عاشوا في عزلة كالطلاب مالك بن نبي (1908-1973)، وشهدوا ظروفًا معيشية صعبة عانوا فيها العزلة الأخلاقية الناتجة عن تصور الطلاب الآخرين (Jaouad, p.1193, 2021).

ولا يقتصر الأمر على ذلك، وإنما تجاوز بهم الحد في تركيب صورة مشوّهة عنهم، فهم أفقر طلاب المغاربة، حيث عانوا من العنصرية والشعور بما أثار على معنوياتهم كطلاب جزائريين خاصة عند بحثهم عن غرف للإيجار، فرفض العديد كنتاجيرها لهم تولّد نظرة الاحتقار، فلا يتم كراء غرفة إلى **بيكو**-(bicot) هكذا أطلق هذا المصطلح على الجزائري للخط من شأنه فنتوه بصفة البهائم وإلى جانب ذلك كانت السلطات الاستعمارية تفرض على الطلبة، وتعقد شروط التحاقهم بفرنسا حتى لا يكونوا سببا في اطلاع الرأي العام الفرنسي، والطلابي منه على وجه الخصوص وعلى كل أنواع المجازر، والأعمال الإجرامية والقمعية التي ارتكبتها فرنسا (حمادي، ص.ص. 43، 45).

ومن هذا المنبر لن يجرحهم أحد خلف توجهاتهم، ففكر الطلبة بإنشاء الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين، ونشروا كتبًا يتألف من 25 صفحة لشرح ضرورة إدراج حرف (الميم)، وكان حرف (الميم) بمثابة جسر، ورابطة وطريقة للتلاحم، وللانسجام وللتعريف بأنّ الجزائر شخصية عربية إسلامية (كليمون، 2012، ص.213). وبعد جهود حثيثة معلنة في قضية حرف (الميم)، عرضت عليهم مسيرة من شارع "سان ميشال" إلى "فيرو" وجه فيها "أحمد طالب الإبراهيمي" خطابا شرح فيه وبوضوح معنى حرف الميم (مسلم) الذي يعود للمنطقة الحضارية، والتي مكّنها في الجزائر المستقلة (ibrahimi, 2009,p.94).

إنّ هذا الأمر جعل "بلعيد عبد السلام" عضو اللجنة المركزية لحزب الشعب يفكر في لم شتات فروع الطلبة الجزائريين. بمختلف المدن الجامعية الفرنسية في هيئة مركزية مع افتكاكها من قبضة التأثير الشيوعي، والتفكير على مستوى الطلبة المغاربة في تأسيس تنظيمات طلابية قطرية تساهم في تحرير بلدها على أن يعودوا للتفكير في الاتحاد (عباس، 2009، ص.177). ولا طالما ظل الجزائريون تحت السيطرة الاستعمارية، إلا أنّهم لم يستسلموا، ولم يؤكّدوا بشكل واضح شخصيتهم في إطار الإسلام، وتم النقاش في المؤتمر مشيرين إلى أنّ: "بلادهم تشهد وضعًا خاصًا يميزها عن باقي البلدان في شمال إفريقيا، وتم تبني اقتراح الجزائر الذي يدعو إلى اسم UGEMA من قبل المؤتمر التحضيري بأغلبية كبيرة (Haroun ,1986,p.73).

وهكذا التحق الطلبة بصفوف جيش التحرير بعد الاتحاد الإسلامي، وكانت لهم الفرصة في صيف سنة 1956 للوقوف ضد مرامي (الفروع الادارية الخاصة)، فلتاريخ الطلبة دورهم المنوط الذي لم يخرج بأي حال من الأحوال عن إطار عروبه واسلامه، ممّا أوحى إلى البعض ضرورة الاهتمام أدبيا، وثقافيا بأحداث الثورة، وتطوراتها، وتسجيل ما أمكن تسجيّله من أحداثها في كتاباتهم، وأشعارهم وذلك ما حدى بالطالب "بوعلام طالي" الذي كان يدرس الآداب الكلاسيكية في جامعة الجزائر (هلال، 1986، ص. 28، 44، 120). ومن هنا اعتبر رد الفعل الثوري كاستراتيجية نفسية غايتها الحرية، والإنسانية، ومقاومة الظلم، والطغيان.

4. خاتمة:

وفي الختام نخلص إلى أنه بالرغم من قساوة المستعمر، وما استعمله من خطة تكتيكية، وحرب نفسية مخادعة للإطاحة بالشعب الجزائري، إلا أنّ ردود الفعل الثورية كانت مناهضة لذلك، فوظفت الوسائل المدعمة للتوجيه المعنوي، وعملت على رفع الروح المعنوية للشعب، وللقيادات الثورية، فكان لكل وسيلة إبلاغ دورا توعويا ترجمت مضامينها في مسائل جوهرية، حققت هدف الثورة الجوهرية الذي عمل على إثراء وجدان، وعقول الجماهير المتلقية، ومنه نستنتج:

- أنّ الخطاب كان الأساس في مهام التواصل في تاريخ الثورة الجزائرية.

- دعا الخطاب المتلقين إلى النهوض بالثورة.

- اهتم الخطاب الثوري بالهوية الجزائرية، وبالقيم والمبادئ الإنسانية.

- تم استخدام الشعر الثوري بمثابة رسالات تبث بها الوعي، والحماس الوطني.

- ركّز الإعلام على فهم حقيقة المستعمر، وناهض عن ارتكاب المظالم.

- شكّل الإعلام نقطة التقاء بين الشخصيات المحلية، والدولية.

ومما سبق نقترح ما يلي:

- إنّ نجاح الاستعمار في توظيفه للحرب النفسية، ليس بالنجاح الذي شرف فرنسا أو تجدد تاريخها بعد أن ترك جروحا بليغة، ولا تصلح أن تكون استراتيجية الحرب النفسية معيارا أسمى في الحرب، وإنّما قيمة نجاحها تكمن في الضمير الجمعي، وذلك بوجوب تحمل الآلام وتجنب الشر.

- وجب التحلي بالوعي التاريخي، واليقظة السياسية، والثقافية، والروح الوطنية، كما وجب تطوير الإعلام، والاتصال من أجل سلامة وأمن الدولة، ودفاعها الوطني، لأنّ الحرب النفسية أخطر، وأكثر تدميرا للهوية، وللعقول البشرية بوسائلها المتطورة المغرية، ومن الدعاية المغرضة، والعدو يخفي ويضمّر حقائقه.

- البحث في استراتيجيات الحرب النفسية وتقنياتها، والحرص على الوقاية منها.

5. قائمة المراجع:

- الإبراهيمي محمد البشير، آثار محمد البشير الإبراهيمي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997.

- الإبراهيمي محمد البشير، في قلب المعركة، الجزائر: دار الأمة، 2009.

- أوسايس بول، شهادتي حول التعذيب، الجزائر: دار المعرفة، 2008.

- بن براهيم حريزي موسى، الحرب النفسية ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة ومفدي زكريا، الجزائر: منشورات

وزارة المجاهدين، 2014.

- بن بلة أحمد، مذكرات أحمد بن بلة، بيروت: دار الآداب، 2019.

- بوخاوش سعيد، مقاومة التيار الاصلاحى في الجزائر لسياسة الفرنسة ودوره في الحفاظ على اللغة العربية، الجزائر:

دارتفليلات 2013.

-بوطرفاية مصطفى، الشعر الجزائري الحديث في ضوء جمالية التلقي، أطروحة دكتوراه في الأدب الجزائري الحديث، جامعة وهران، 2012.

- بومالي أحسن، استراتيجية الثورة الجزائرية في التجنيد والتعبئة الجماهيرية منذ اندلاع الثورة إلى غاية مؤتمر الصومام، ملتقى الإعلام ومهامه أثناء الثورة: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

-جلالوي سعيد، الصراع الثقافي بين الاستعمار والثورة الجزائرية من خلال مجلة الفكر التونسية 1955-1962، مجلة المعارف، 14(8)، ص. 134 - 176، 2013.

-جواد علي عمر، الدعاية والحرب النفسية، العراق: جامعة الأنبار، 2020.

- حباشي عبد السلام، من الحركة الوطنية إلى الاستقلال (مسار مناضل)، الجزائر: دار القصة، 2008.

-حمادي عبد الله، (الحركة الطلابية الجزائرية 1871 - 1962 "مشارب ثقافية وإيديولوجية"، الجزائر: منشورات المتحف الوطني

للمجاهد، 1995.

- الحلاق بطرس، الإعلام والحرب النفسية، سورية: منشورات الجامعة السورية، 2020.

-دهاش الصادق، مقتطفات من الإعلام في الثورة التحريرية الكبرى، ملتقى الإعلام ومهامه أثناء الثورة: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

- زيري الطاهر، نصف قرن من الكفاح (مذكرات قائد أركان جزائري)، الجزائر: الشروق للنشر، 2011.

-زغبيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطنية 1956-1962، الجزائر: دار هومة، 2009.

-زكريا مفدي، الله المقدس، الجزائر: موفم للنشر، دون سنة.

- سيدي موسى، محمد الشريف، الثورة الجزائرية في وسائل إعلام العالم الثالث والكتلة الشرقية: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، دون سنة.

-الصادق محمد صالح، الثورة الجزائرية مواقف ومعالم، الجزائر: موفم للنشر، 2013.

-عباس محمد، نداء... الحق، شهادات تاريخية، الجزائر: دار هومة، 2009.

-عباس محمد الشريف، واقع الإعلام الوطني أثناء الثورة التحريرية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، دون سنة.

- عبد الله معتز سيد، الحرب النفسية والشائعات، القاهرة: دار غريب، 1997.

- غربي الغالي، التعذيب خلال الثورة التحريرية دراسة في الممارسات والمؤسسات، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، 1(1)، ص ص 203 - 233، 2008.

- فانون فرانس، معذبو الأرض، القاهرة: مدارات للأبحاث والنشر، 2015.

-فكاير عبد القادر، التعذيب الفرنسي للجزائريين في السجون والمعتقلات من خلال كتاب الثورة الجزائرية في الصحافة

الدولية للدكتور "عبد الله شريط"، مجلة الناصرية، 1(3)، ص. 29-40، 2012.

- قندل جمال مقاربات الاحتلال الفرنسي في التعاطي مع الثورة الجزائرية (الحرب النفسية أنموذجا) 1955-1960، مجلة الدراسات التاريخية، ص. 15-16: جامعة الجزائر 02، 2013،
- كافي علي، مذكرات الرئيس علي كافي، (من المناضل السياسي الى القائد العسكري 1946-1962)، الجزائر: دار القصبة، دون سنة.
- كليمون هنري، الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (1955 - 1962)، الجزائر: دار القصبة، 2012.
- الكيلاني ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية، المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، 1988.
- المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج3، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.
- مناصرية، يوسف، التنظيمات التي أنشأتها فرنسا لمحاربة الثورة، أعمال الملتقى الوطني حول استراتيجية الثورة في الحركات المناوئة الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين، 2007.
- مهدي سميسم حميدة، الحرب النفسية، بغداد: الدار الثقافية للنشر، 2004.
- نور عبد القادر، شاهد على ميلاد صوت الجزائر، (ذكريات وحقائق)، الجزائر: دار هومة، 2016.
- هلال عمار، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر، الجزائر: لافوميك، 1986.

المراجع الأجنبية

- Boukli Leila , Touarigt, Boualem, Elmoudjahid (Lavoix du combat),Magazine Mémoire,18, Alger, p.40-41,2013.
- Dahlab Saad, Mission Accomplie, Alger : éditions dahlab, 1990.
- Fré Meaux , JACQUES, Les bureaux arabes dans l'Algérie de la conquête l'aventure coloniale de la France, 1993.
- Haroun Ali، La 7^e wilaya (La guerre du FLN en France 1954-1962), Paris: Edition du seuil, 1986.
- Ibrahim Ahmed Taleb, Mémoires d'un Algérien (Rêves et preuves 1932-1965), Tome₁, 2eme édition, Alger : casbah éditions, 2009.
- Jaouad Moussa , Algerian Students Activity in France To Support The Liberation Revolution Through Politics And The Media, (35) قسنطينة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية 2، 2021، 1190 - 1204، ص- الجزائر،

موقع الكتروني:

- بن بلة أحمد، بن بلة يروي تفاصيله اختطافه مع قادة الثورة، ج6، تم الولوج 27 أكتوبر 2025 على الساعة 21.00، من الرابط التالي:

www.aljazeera.net.

- هارون فيصل، (2007)، مركز تعذيب سابق يتحول إلى مكان لرمي الفضلات، جريدة الشروق، تم الولوج: يوم 2025 /05/16 على الساعة: 14.00، من الرابط التالي:

<https://www.echoroukonline.com> .